الأبعاد الأخلاقية للبحث العلمي دراسة تحليلية في ضوء نماذج من المواثيق الدولية

الباحث/حسن يوسف محمد عبد الرحيم الهيدوس
لدرجة الدكتوراة بقسم الفلسفة كلية الاداب – جامعة المنوفية

تمهيد:

لا شك أن المعرفة العلمية انتاجٌ انساني شامل يتجاوز حدود الزمان والمكان، هدفه الأساسي تعقيل الطبيعة والسيطرة عليها وتطوير تقنيات أكثر فاعلية لتلبية حاجات الإنسان ودفع مسيرة ارتقائه الحضاري. ومن خلال مساراته النظرية والتطبيقية المختلفة، نستطيع القول إن العلم محكومٌ بآلية جدلية نوعية؛ إذ يؤدي تطور المنهجيات والكشوف العلمية – من جهة – إلى دفع الآفاق الفكرية نحو التفتح والنمو واكتشاف الحقائق على نحو مجرد، ومن جهة أخرى، يؤدي العلم – بوصفه عنصرًا أساسيًا في تكنيك الإنتاج – دورًا هامًا في تقدم الحياة وتطورها، وفي تحديد سائر أنواع الوعي الاجتماعي الذي يختزنه المجتمع في عقله الجمعي لتسييس قضاياه الحياتية.

ولقد شهدت الحضارة الإنسانية عدة قفزات علمية – تكنولوجية كان وما زال لها أثرٌ بالغٌ بما تحمله من فرص متباينة القوة لازدهار الحضارة أو اندثارها، حدَّدها «كلاوس شواب» Klaus Martin Schwab، مؤسس المنتدى الاقتصادي العالمي (من مواليد سنة ١٩٣٨)، في كتابه: «***الثورة الصناعية الرابعة***» *The Fourth Industrial Revolution* المنشور سنة ٢٠١٦، بداية من اكتشاف «جيمس وات» لآلة البخار إبان القرن الثامن عشر، ومرورًا باكتشاف العالم الأمريكى «بنيامين فرانكلين» للكهرباء في القرن التاسع عشر ، ثم تدشين عصر الحاسوب الآلى أو الكمبيوتر في الستينيات من القرن العشرين فيما عُرف بعد ذلك بالثورة الرقمية، ووصولاً إلى الثورة الصناعية الرابعة، تلك التي لا تقوم على اكتشافٍ أو اختراعٍ علمي أو حدثٍ واحدٍ مثل البخار أو الكهرباء، ولا على تطورٍ تكنولوجي فى مجالٍ محددٍ مثل الحاسب الآلي، ولكن على مجموعة من التطورات التي تشهدها العديد من المجالات بحيث يصعب حصرها فى مدة زمنية محددة أو حتى قائمة واحدة؛ فالثورة التكنولوجية الحالية تمتد من الهواتف الذكية على سبيل المثال إلى السيارات ذاتية القيادة، ومن النانوتكنولوجي إلى إنترنت البشر (تطبيقات زراعة الشرائح الإلكترونية في الأجسام

البشرية للقيام بوظائف حيوية، ودعم حياتهم اليومية، وأداء مهام مثل: قياس البيانات الحيوية للجسم، وضبط مستويات الأنسولين، وتقوية السمع، والتحكم في الأجهزة، وإجراء معاملات إلكترونية، والدخول إلى أنظمة الكمبيوتر، ومراقبة تحركات البعض، والاتصالات العسكرية).

وعلى الرغم من المزايا المؤكدة لهذه الثورة على صعيد رفاهية الإنسان والمجتمع، وما تقدمه من منافع بيئية، فإن مكامن القلق تتلخص فيما تشمل زيادة مستوى عدم المساواة، والتأثير على الحروب، وطريقة تفاعل الدول والمجتمعات فيما بينها، وهو ما وصفه «شواب» بقوله: «ستكون الحكومات، في واقع الأمر، من بين أكثر المتأثرين بهذه الثورة الناشئة وما تحمله من تحديات، إذ ستحدث هذه التقنيات الحديثة تحولات في ميزان القوى بين القطاعات الصناعية، والجهات الحكوميّة وغير الحكوميّة، والبلدان، مع تقديمها فرصا جديدة للتواصل مع المواطنين، كذلك فإن أمورًا مثل الروبوتات والذكاء الاصطناعي والهندسة الوراثيّة سوف تثير معضلات أخلاقيّة وتنظيمية جديدة ... وإذا كان من المستحيل حاليًا أن نعرف تحديدًا مسار الثورة الصناعيّة الرابعة، إلا أن بإمكاننا أن نرى ثلاثة مصادر للقلق: الأول عدم المساواة؛ حيث تشير التقارير الدولية إلى أن هناك ما يقرب من اثنين وستين شخصًا يسيطرون على أصول تزيد عن تلك التي يملكها نصف سكان العالم الأكثر فقرًا، أي ما يقرب من ٣.٦ مليار شخص ... وفي الوقت الذي سيستفيد فيه الكثير من المستهلكين والمنتجين والمستثمرين من التقنيات الجديدة، فإنها قد تتسبب في زيادة مستوى عدم المساواة جرَّاء ديناميكيات المنصات الرقمية، وارتفاع معدلات البطالة، والانحياز للمهارات الذي يكافئ أصحاب المهارات العالية والمحظوظين. ومن واجبنا أن نمنع وقوع ذلك ... أما المصدر الثاني للقلق، فيكمن في الأمن، حيث تزيد التقنيات الحديثة من حجم الأساليب التي تستخدمها الحكومات، وكذلك الجهات التي لا تتبع دول بعينها، في شنّ الحروب ... وأما المصدر الثالث للقلق فيتمثل في التأثير على الهويات الفردية، وعلى المجتمعات، وعلى القدرة على تعايش البشر في سلام؛ فالتقدم الذي تشهده الهندسة الوراثيّة يشير إلى أن التطورات الجذرية للقدرات البشرية قد لا تكون متاحة إلا لهؤلاء القادرين على تحمّل التكلفة،

الأمر الذي يهدد بزيادة المستويات الحالية من عدم المساواة وعدم الثقة و استحداث أشكال جديدة للنزاعات»[1].

لقد أدت قوة العلم وقوة التنظيم المرتبطة به إلى أزمة فكرية – أخلاقية مزدوجة يكابدها الإنسان بوضوح في عالمنا المعاصر؛ أما من الناحية الفكرية فقد ثار التساؤل عما إذا كان في مقدور الإنسان أن يدرك تعقيدات القوة التي أطلقها من عنانها، وأن يتصور ألوانًا جديدة من الترتيبات السياسية التي يمكن أن تحل محل الترتيبات التي فرضتها الطبيعة، والتي كان الإنسان قد تعلم أن يتدبرها أو يدمرها؛ وأما من الناحية الأخلاقية فقد نشأت الأزمة من انهيار كثير من القيم، ومن التسارع بين ما بقى منها، ومن التنافر بين القوة التي قبض عليها الناس بين أيديهم، والضعف أو القلق أو التناقض فيمن يوجهون أو يرشدون إلى استخدام هذه القوة. تلك هي القضايا الكبرى التي تواجه الإنسان منذ منتصف القرن العشرين، وبالتحديد منذ أن ألقيت أول قنبلة ذرية على هيروشيما. يومها أعلن الفيزيائي الأمريكي «جاكوب روبرت أوبنهايمر» J. R. Oppenheimer (١٩٠٤ – ١٩٦٧) أن العلم قد فقد عذريته، ولم يعد لنا أن نتخيله تلك العذراء الطاهرة الحنون! لكن عالم الكيمياء الحيوي النمساوي «إروين شارجاف» E. Chargaff (١٩٠٥ – ٢٠٠٢) ذهب إلى أبعد من ذلك، رأى أن العلم قد فقد عذريته مع بدء مشروع مانهاتن، أول معسكر اعتقال علمي جُمع فيه أكثر العلماء عبقرية، من كيميائيين وفيزيائيين، تحت حراسة مشددة، وقيل لهم: هيا العبوا واقتلوا. كانوا يعرفون جميعًا أنهم سيقومون بأكبر اكتشاف شيطاني: تفجير الذرة، وأن هذا الاكتشاف سيستخدم في أكبر مذبحة في تاريخ البشرية. فإذا كان هذا حالنا حين نفذنا إلى باطن الذرة وامتلكنا نواحي طاقتها المدمرة، فما بالنا إذا تحَكّمنا في طاقة نواة الخلية الحية؟ إن هذه الأخيرة لا تشبه طاقة نواة الذرة، فلا أحد يفنى منها، لكن تفجير نواة الخلية يعني انفجار ضمير الإنسان، وإعلائه من شأن وحشية التفكير والغرور، فالأخلاقيات – كما نعلم – كانت دائمًا كالمطاط، خير ما يمكن أن يلائم نفسه مع الظروف!

---

[1] مساعد الزياني (٨ فبراير ٢٠١٦). «كلاوس شواب لـ («الشرق الأوسط»): الثورة الصناعية الرابعة سلاح ذو حدين». جريدة الشرق الأوسط. تم الاسترداد بتاريخ ٤ ديسمبر ٢٠٢٠ من: https://aawsat.com/home/article/562826/كلاوس-شواب-لـ-«الشرق-الأوسط»-الثورة-الصناعية-الرابعة-سلاح-ذو-حدين

بعبارة أخرى، لقد بات التحدي العلمي الأخلاقي لعالمنا المعاصر قويًا ومُلحًا؛ فإما أن تكون ثمة أخلاق جديدة لعصر العلم – يجب العثور عليها في العلم نفسه، أو أن تكون ثمة بعض الصيغ التاريخية للقيم الأخلاقية والجزاءات يُكتفى بها في الوضع الجديد. وكنتيجة لهذا التحدي أصبح رجال العلم أنفسهم يواجهون ورطة أخلاقية؛ ذلك أن للعلم أخلاقه الخاصة في السعي وراء المعرفة: تنقيب لا هوادة فيه، حرية العقل، أمانة مطلقة في الملاحظة والتقرير، تعاون متبادل في السعي العام المشترك وراء الحقيقة ، ... إلخ ، لكن رجال العلم لم يبسطوا بشكل تقليدي هذه القيم على « تطبيق » المعرفة، لأن القيم التي تحكمت في هذا النظام التطبيقي لم تكن قيم العلم، بل قيم السياسة بكل سوءاتها، ومن ثم بدأ رجال العلم ينازعون في أمر حيادهم فيما يتعلق بتطبيق معرفتهم، ويتساءلون عما إذا كان عليهم مسؤولية خاصة، على الأقل في إظهار الجمهور وإظهار أولئك المعنيين بالسياسة، على النتائج الفعالة لكشوفهم[٢]!

نعني في هذا البحث برصد وتحليل عناصر أخلاقيت البحث العلمي من خلال ثلاثة مباحث؛ يختص الأول بالمبادئ الأخلاقية للباحث العلمي، ويُركز الثاني على الجانبين الإنساني والوظيفي للباحث، بينما ندلف في الثالث إلى أهم ما انطوت عليه بعض المواثيق الدولية للبحث العلمي.

أولاً: المبادئ الأخلاقية للباحث العلمي:

يقول الدكتور «طه حسين» فى كتابه مستقبل الثقافة فى مصر: «إن أبغض شيء إلى الرجل الكريم الذي يشعر بالعزة والكرامة ويحرص عليهما أن يرى نفسه مضطرًا إلى أن يعترف بأنه لم يُصبح بعد لهما أهلاً ... يجب أن نأخذ أمورنا بالحزم والجد منذ اليوم، وأن نُعرض عن الألفاظ التى لا تُغنى إلى الأعمال التي تُغني، وأن نبدأ في إقامة حياتنا الجديدة من العمل الصادق النافع على أساسٍ متين»[٣]؛ هكذا يجب أن تكون أخلاقيات الباحث

---

[٢] صلاح عثمان: *نحو فلسفة للكيمياء*، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٤، ص ص ٢٥١ – ٢٥٤.

[٣] طه حسين: *مستقبل الثقافة فى مصر*، تصدير مصطفى الفقى، مكتبة الاسكندرية، ٢٠١٨، ص ١٤.

العلمى، أن يتميز بالحزم والجد فى بحثه عن الحقيقة، متمتعًا بالأخلاق الواجبة في اتباع الأسلوب والمنهج العلمي المتين فى طريقة بحثه ووصوله للحقائق العلمية الرصينة.

ولكي نتعرف على العلاقة بين الأخلاق والبحث العلمي لابد من معرفة معني كل منهما ودلالته، ونبدأ أولاً بكلمة «أخلاق»، ثم ندلف إلى معنى البحث العلمي وأهميته، ومنه إلى الضوابط الأخلاقية.

١. الأخلاق (لغةً واصطلاحًا):

تشير كلمة «أخلاق» بصفة عامة إلى مجموعة من الصفات النفسية التي يتسم بها الإنسان وتتيح لنا وصف أعماله بالحُسن أو بالقُبح، لكنها تُستخدم بشكلٍ نوعي للدلالة على علمٍ نظريّ يحدِّد مبادئ عمل الإنسان في العالم والغاية العليا التي يسعى إليها، أو هو علم بالفضائل وكيفية التحلِّي بها، والرذائل وكيفيّة تجنّبها. ونجد هذا المعني في الكلمة الأجنبية ذات الأصل اليوناني Ethics التي ترادف كلمة Morals ذات الأصل اللاتيني التي تعني الآداب العامة[٤]. و«الأخلاق» في العربية من «الخلق»؛ يقول ابن منظور في «لسان العرب»: «وَرَجُلٌ خَلِيقٌ بَيِّنُ الخَلْق: تامُّ الخَلْق مُعْتَدِلٌ»، وفي التنزيل «وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ» (القلم: ٤). والخُلُق – بضمّ اللام وسكونها – هو الدِّين والطبع والسجية والمروءة، وحقيقته أن صورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها، بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها[٥].

من جهة أخرى، ثمة عدة تعريفات للأخلاق نظرًا لتنوعها واختلافها من مجتمع إلى آخر، إذ نجد في معجم لالاند مثلاً ثلاثة تعريفات؛ أولهما أن الأخلاق هي مجموعة قواعد السلوك مأخوذة من حيث المقبول، وهي غير مشروطة؛ وثانيهما أن الأخلاق هي السلوك المطابق للأخلاق أو المقبول في عصر ما ومجتمع ما؛ وثالثهما أن الأخلاق نظرية عقلية

---

[٤] إمام عبد الفتاح إمام؛ *فلسفة الاخلاق*، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٢.

[٥] ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الانصارى): لسان العرب، الجزء الحادى عشر، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة بدون تاريخ، ص ٣٧٤.

في الخير والشر[٦]. وثمة تعريف آخر للأخلاق، وهو تعريف لوسن Lawson، ومؤداه أن الأخلاق مجموع متفاوت النسق من التحديدات المثالية، والقواعد والغايات التي يجب على الأنا أن يحققها بفعله في الوجود حتى يزداد هذا الوجود قيمة[٧].

كذلك يذهب ابن مسكويه إلى أن «الخُلق حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية»[٨]. أما الإمام الغزالى فإنه يفهم من علم الأخلاق شرح طرائق السلوك، وفقا لما سنته الشريعة الإسلامية، ولعلم الأخلاق فيما يرى أسماء متعددة، فهو تارة يسميه علم (طريق الآخرة)، وتارة يسميه علم (صفات القلب)، وحينًا يُسميه (أسرار معاملات الدين)، وربما أسماه (أخلاق الأبرار)، فعلم الأخلاق عنده هو تكيف النفس وردها إلى ما رسمته الشريعة وخطه رجال المكاشفة من كبار علماء الإسلام ومن سبقهم من الأنبياء والمرسلين[٩].

ويمكن تقسيم البحث في علم الأخلاق إلى قسمي، يشمل الأول البحث في أنواع الملكات الفاضلة التي ينبغي على الإنسان أن يتصف بها ويمارسها في حياته العملية اليومية، مثل الصدق والإخلاص والأمانة والوفاء والعفة والشجاعة والعدل والرحمة ونحو ذلك. وهذه كلها تمثل أنواعًا من الأفعال لها مثال في الخارج، وقد عرفت كل الأمم والشعوب في القديم والحديث هذا النوع من الأخلاق العملية. أما القسم الثانى فهو علم الأخلاق النظري، ويبحث في المبادئ الكلية التي تستنبط منها الواجبات الفرعية كالبحث عن حقيقة الخير المطلق

---

[٦] رشا علي البارودي: أخلاقيات البحث العلمي في العلوم الإنسانية، *المؤتمر السنوي للدراسات العليا والبحث العلمي (الدراسات الانسانية والتربوية)*، جامعة الخرطوم، السودان، فبراير ٢٠١٣، المجلد الأول، ص ٣.

[٧] عبد الله موسى (٢٠٠٠). «الأخلاق: التحدي الحضاري وخيار التقنين». *مجلة النبأ*، العدد (٤٧)، يوليو ٢٠٠٠. تم الاسترداد بتاريخ ٧ ديسمبر ٢٠٢٠ من: https://annabaa.org/nba47/tahadi.htm

[٨] محمد مصطفى زيدان وصالح مضيوف شعث ، مناهج البحث في علم النفس والتربية ، دار المجمع العلمى ، جدة ، عام ١٩٩٨ ، ص ١٧

[٩] عبد العزيز احمد: *مباحث في نظريات الأخلاق*، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥، ص ص ٦٣ - ٦٤. نقلاً عن يوسف عبد الرحمن حسن شبلي: *ارتباط المستوى الأخلاقي بالتنمية السياسية للأمة العربية*، أطروحة ماجستير بجامعة النجاح الوطنية، نابلس، ٢٠١٠، ص ١٢.

وفكرة الفضيلة من حيث هي، وعن مصدر الإيجاب ومنبعه، وعن مقاصد العمل البعيدة وأهدافه العُليا ونحو ذلك. ويُطلق على هذا القسم أيضاً «فلسفة الأخلاق»، وعلاقته بعلم الأخلاق العملي كعلاقة علم أصول الفقه بعلم الفقه. فموضوعه ليس هو أنواع الأفعال التي لها مثال في الخارج، كما هو الحال في علم الأخلاق العملي، وإنما موضوعه هو جنس العمل المطلق وفكرته المجردة التي لا يتحقق مسماها خارجًا إلا في ضمن الأنواع التي يبحث عنها العلم العملي، تلك الأنواع التي تُعد بمثابة وسائل لتحقيق الغايات التي يبحث عنها العلم النظري، والتي تتمثل في الخير المطلق أو الفضيلة الكلية[١٠].

ثمة نوعان إذن من المقاييس الخُلقية؛ مقاييس عملية تتمثل في العرف والقوانين الوضعية والسماوية والآراء الشخصية، وتسمي مقاييس عملية لأنها أمورٌ موجودة بالفعل ويقاس على مثالها؛ ومقاييس نظرية تتمثل في القواعد والمبادئ العامة النابعة من الفكر والنظر وتقاس بها الأعمال، وكل النظريات الأخلاقية تنتمي إلى هذا النوع من المقاييس[١١]، لكننا نُركز هنا على المقاييس العملية أو التطبيقية التي تشمل أخلاقيات البحث العلمي.

٢. البحث العلمي (تعريفه وأهميته):

«البحث» لغةً هو «الطلب» أو «التفتيش» أو «التقصي» عن حقيقة من الحقائق أو أمر من الأمور. أما كلمة «علم» فمعناها المعرفة والدراية وإدراك الحقائق، والعلم أيضًا هو الإحاطة والتحليل والإلمام بالحقائق وكل ما يتصل بها. ووفقا لهذا التعريف اللغوي فالبحث العلمي هو عملية تقص منظمة باتباع أساليب ومناهج علمية محددة للحقائق العلمية بغرض التأكد من صحتها وتعديلها أو إضافة الجديد لها[١٢].

---

[١٠] محمود حمدى زقزوق: *مقدمة في علم الاخلاق*، ط ١، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٩٣، ص ١٨.

[١١] المرجع ذاته، ص ٦٣.

[١٢] جمال أحمد عباس & مهي خالد شهاب: *مناهج وأساليب البحث العلمي*، دار أمجد للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٨، ص ٤٤.

ويمكن تعريف البحث العلمي أيضًا بأنه نشاط أو جهد إنساني مبذول يبدأ بالنظرية وينتهي إليها. وبين البداية والنهاية يمر بالمنهج العلمي الذي يتمثل دوره في تعديل أو دعم النظرية. وبتعبير أكثر دقة، فإن البحث العلمي هو البحث النظامي والمضبوط والاختباري في المقولات الافتراضية عن العلاقات المتصورة بين الحوادث الطبيعية. وقد خلق الله سبحانه وتعالي الإنسان ليعبده، وهذه العبادة لا تتم إلا بمعرفة وجود خالق، وهذه المعرفة تتحقق بالتأمل في خلق الله والتدبر في حكمته، وهذه هي أصول البحث العلمي؛ قال تعالي «أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت» (الغاشية: ١٧ – ٢٠)، وقال أيضًا «وفي أنفسكم أفلا تبصرون» (الذاريات: ٢١)[١٣].

وتنبع أهمية البحث العلمي من حقيقة أن الحاجة إلى الدراسات والبحوث والتعلم أضحت اليوم مهمة أكثر من أي وقت مضى، فالعلم والعالم في سباق للوصول إلى أكبر قدر ممكن من المعرفة الدقيقة المستمدة من العلوم التي تكفل الرفاهية للإنسان، وتضمن له التفوق على غيره. وإذا كانت الدول المتقدمة تولي اهتمامًا كبيرا للبحث العلمي، فذلك يرجع إلى إدراكها أن عظمة الأمم تكمن في قدرات أبنائها العلمية والفكرية والسلوكية. والبحث العلمي ميدان خصب ودعامة أساسية لاقتصاد الدول وتطورها، وبالتالي يحقق لشعوبها الرفاهية والمحافظة على مكانتها الدولية[١٤].

وثمة أربعة أهداف رئيسة تسعى البحوث العلمية إلى تحقيقها[١٥]:

١) استعراض المعرفة الحالية وتحليلها وإعادة تنظيمها.

٢) وصف موقف معين أو مشكلة محددة.

٣) بناء أو تكوين نموذج جديد لتفسير ظاهرة معينة.

---

[١٣] رشا علي البارودي: *أخلاقيات البحث العلمي في العلوم الإنسانية*، مرجع سابق، ص ٤.

[١٤] جمال أحمد عباس & مهي خالد شهاب: المرجع السابق، ص ٤٦.

[١٥] ربحي مصطفى عليان: *البحث العلمي (أسسه – مناهجه وأساليبه – إجراءاته)*، بيت الأفكار الدولية، الأردن، ٢٠٠١، ص ٢١.

٤) وضع تفسرات وتحليلات نوعية في مجالٍ ما، وهذا هو النوع المثالي الذي يعتمده الباحثون المهنيون.

٣. الضوابط الأخلاقية للبحث العلمي:

لا شك أن للعملية البحثية مجموعة من الضوابط الأخلاقية التي يجب أن تتوفر في شخص الباحث، وفي طريقة بحثه، حيث تعتبر القيمة الأخلاقية (العمل الإيجابي وتجنب الضرر) بمثابة الأساس الذي تبنى عليه المبادئ الأخلاقية للبحث العلمي. وتصاحب الضوابط الأخلاقية كل مراحل العملية البحثية، بداية من تخطيط البحث، ومرورًا بجمع ومعالجة البيانات، ووصولاً للأمانة العلمية[١٦]. ولعل أهم هذه الضوابط هي: الإعداد والتأهيل بما يسمح للباحث بالقدرة على التقييم والنقد الذاتي، والأمانة العلمية وتجنب الانتحال، والموضوعية وتنحية الميول والأهواء والنوازع الشخصية، والمسؤولية العلمية والاجتماعية، وتحقيق مبدأ المشروعية من خلال الالتزام بالقوانين وعدم الرضوخ للأهداف السياسية والأيديولجية، واحترام حقوق الإنسان وكرامته وقدسية الحياة، والحذر واليقظة بًغية تجنب الأخطاء البشرية والتجريبية والمنهجية، والانفتاحية فيما يتعلق بالمشاركة البحثية، إلى غير ذلك من ضوابط تشمل الثابت والمتغير، والعام والخاص، من المبادئ[١٧].

ثانيًا: الباحث العلمي كإنسان ومواطن:

ليس هناك من تمييز بين أمة وأخرى في امتلاك القدرات العقلية، ولا تؤشر زيادة المبدعين عند بعض الأمم الى تميز بقدراتها العقلية، بل تعود وبصفة رئيسة إلى نظامها التعليمي، فالنظام التعليمي الذي يعتمد الحوار ويحترم إنسانية الانسان ويمنح الفرصة للعقول المفكرة والإبداع هو النظام القادر على أن يكون نظامًا قادرًا على المساهمة في البناء والتطور، كما أنه وفى جميع مستوياته يقوم بتعزيز القدرة على التفكير والبحث والابداع ، ويجعل من اكتساب المعرفة هدفا له، ويستطيع ان يحقق ما يتطلع اليه المجتمع من تقدم

[١٦] جحنيط حمزة: *المبادئ الأساسية والأخلاقية للبحث العلمي*، الملتقى المشترك حول الأمانة العلمية، مركز جيل البحث العلمي، طرابلس، لبنان، ١١ يوليو ٢٠١٧، ص ٣٦.
[١٧] انظر رشا علي البارودي، المرجع السابق، ص ص ٩ – ١٣.

وتطور منشود. ولقد أصبح البحث العلمي في يومنا هذا جزءًا رئيسًا من حياة أية أمة تتطلع إلى الرقي والازدهار، ومع ازدياد الحياة تعقيدًا تزداد المسائل التي تواجهها صعوبة إيجاد الحلول لها، مما يدفع إلى التركيز على البحث العلمي من خلال كونه طريقة منظمة أو فحصًا استفساريًا منظمًا، لاكتشاف حقائق جديدة، والتثبت من حقائق قديمة، والعلاقات التي تربط فيما بينها، أو القوانين التي تحكمها[١٨].

والحق أن أخلاقيات البحث العلمي ليست مجرد مجموعة من السمات الشخصية للباحث العلمي فحسب، بل إنها الضابط والمنظم الحقيقي للباحث العلمي وبحثه، ومن ثم فهي نظام كامل من الحقوق والواجبات ينظم المؤسسات والمجتمعات البحثية. وكما أن للبحث العلمي الجيد والباحث الجيد أخلاقيات عديدة يجب التحلي بها، فان ثمة مخاطر يجب أن يبتعد عنها الباحث تماماً، ومنها[١٩]:

١) تكوين نتائج غير ناضجة: كثيرًا ما يدفع حماس بعض الباحثين إلى سرعة التعلق برؤية مثيرة، على الرغم من أن هؤلاء الباحثين يدركون أنه ليس هناك دليل كاف لتأييدها، ولو تذرعوا بالصبر والعمل فتره أطول في تقصي الحقائق لتجنبوا الوقوع في الخطأ. إن الباحث الدقيق لا يعلن عما في ذهنه إلا بعد اختبار جميع الفروض والوصول إلى الدليل الحاسم.

٢) تجاهل الأدلة المضادة: قد يتحمس الباحث مره أخرى للفرض الذي يضعه مما يجعله يتجاهل الأدلة المضادة الهامة، ويمكن أن يكون لهذا التجاهل ما يُبرره في المناقشات السياسية حيث يكون الهدف هو كسب جولة المناقشة والحوار بأي ثمن، ولكن الدراسات العلمية لا تهدف إلى كسب المناظرة والحوار، وإنما تهدف إلى اكتشاف الحقيقية. وعلى

---

[١٨] غالب عبد المعطى محسن الفريجات: *ثقافة البحث العلمى*، دار اليازورى، عمان، الأردن، ٢٠١١، ص ص ٨ -١٢.

[١٩] أحمد عامر (٢٠١٧). «أخلاقيات البحث العلمي في القرن الحادي والعشرين». *موقع مقال*، يناير ٢٠١٧. تم الاسترداد بتاريخ ٣ يوليو ٢٠٢٠ من: https://mqqal.com/2017/01/اخلاقيات-البحث-العلمي-في-القرن-الحادي /

ذلك فإن الدليل المضاد يجب أن يُعطى وزن الدليل المؤيد ذاته حتى ولو كان معنى ذلك تغيير الفرض المبدئي.

٣) عادة التفكير داخل حدود ثابتة: لا شيء يؤدى بالبحث المثمر إلى الموت أكثر من عادة التفكير داخل حدود ثابتة. ويذهب بعض علماء النفس إلى القول بأنه حتى في الأشياء البسيطة كجمع عمود من الأرقام فإننا نميل إلى تكرار الخطأ ذاته الذي وقعنا فيه من قبل. على الباحث إذن أن يبذل كل جهده حتى يتجنب نماذج التفكير الجامدة وأن يشجع في ذاته تكوين عادات الأصالة في التفكير.

٤) عدم استطاعة الباحث الحصول على جميع الحقائق المتعلقة بالمشكلة: هناك بعض الصعوبات التى قد يواجهها الباحث في الحصول على الحقائق اللازمة لتكوين الدليل الكافي الذي يؤدى بدوره إلى النتائج السليمة، وكثيرا ما يرتكب الباحثون أخطاء جسيمه عندما يبنون نتائجهم على الدليل المبتور الناقص[٢٠].

٥) عدم الدقة في الملاحظة: كثيرًا ما يضطر الباحث إلى إعادة التجارب التى قام بها للتأكد من أن جميع العناصر قد لاحظها صحيحة، وكثيرًا ما يُهمل الباحث بعض العوامل ويري من هذه العوامل فقط ما يحب أن يراه.

٦) الخطأ في مطابقة أو توفيق علامات السبب والأثر: وهذا خطر موجود دائمًا، وعلى الباحث أن يكون حذرًا في صياغته لهذه العلاقات.

٧) الافتقار إلى الموضوعية: يجب أن تكون الحقيقة والحكمة ضالة الباحث العلمي، فالدراسات التى يقوم بها بعض الباحثين لتأييد معتقدات وإيديولوجيات معينه تخدم أغراضا مشكوكا فيها من غير شك، فعلى الباحث أن يبحث مشكلته بموضوعيه وبلا تحيز حتى تكون نتائجه صحيحة على قدر المستطاع[٢١].

---

[٢٠] انظر أحمد أنور بدر & ناريمان إسماعيل متولى & غادة عبد المنعم: *مناهج البحث في علم المعلومات والمكتبات في القرن الحادي والعشرين*، المكتبة الاكاديمية، القاهرة، ٢٠١٣، ص ص ٢٣١ – ٢٣٢.

[٢١] أحمد بدر: *أصول البحث العلمي ومناهجه*، المكتبة الأكاديمية، ط ١، القاهرة، ٢٠١١ ، ص ص ٧٠ – ٧١.

من جهة أخرى، يجب أن يُدرك الباحث العلمي أنه إذا كانت للبحث العلمي أخلاقياته الخاصة التي تتمثل في السعي وراء المعرفة، وحرية العقل، والأمانة المطلقة في الملاحظة والتقرير، والتعاون المتبادل في السعي العام المشترك وراء الحقيقة، ... إلخ، إلا أن الباحثين أنفسهم لم يبسطوا بشكل تقليدي هذه القيم على «تطبيق» المعرفة، لأن القيم التي تحكمت في هذا النظام التطبيقي لم تكن قيم العلم، بل قيم المجتمع الحديث والمعاصر بكل سوءاته، ومن ثم بدأ الباحثون ينازعون في أمر حيادهم فيما يتعلق بتطبيق معرفتهم، ويتساءلون عما إذا كانت عليهم مسؤولية خاصة، على الأقل في إظهار الجمهور وإظهار أولئك المعنيين بالسياسة، على النتائج الفعالة لكشوفهم. على أن هذا النزاع في أمر الحياد الأخلاقي للباحثين مردودٌ عليه، لاسيما في وقت تكيفت فيه السرعة مع منجزات العلم ليتضاءل الزمن ما بين الكشف العلمي وتطبيقه. إن الباحثين – بإيحائهم للرأي العام بأن العلم والتكنولوجيا بوسعهما أن يحلا جميع المشكلات ويفضيا بالبشرية تلقائيًا، بل دون إرادتها، إلى غدٍ يغني طربًا، وبتواطئهم، عن وعي أو عن غير وعي، مع نظم المجتمع المعاصر – يسيئون إلى العلم إساءة لا تُغتفر؛ فلئن كان العلم محايدًا، فإن رجال العلم ليسوا محايدين، حتى وإن اعتقدوا هم ذلك، بل وخاصة عندما يعتقدون ذلك. ولن ينخدع أحد بإنكار الباحثين مسؤوليتهم عندما تُستغل ثمار بحوثهم في أغراض يمكن الطعن فيها، فالباحث – كإنسان ومواطن – مسؤول مباشرة عن نشاطه، وهو ملزم بما تتخذه نتائج بحوثه من توجهات، وبما يقبل أو لا يقبل من عقود، وبالقضايا التي يقبل مناصرتها صراحة أو ضمنًا[٢٢]!

ثالثًا: المواثيق الدولية للبحث العلمي:

تتعدد الاتفاقات والمنظمات التي تعنى بالبحث العلمي، وتطوير الجهود الدولية لتنمية البحث العلمي، وتدوال المعلومات بين الباحثين، ووضع أطر موحدة دولية لطرق البحث العلمي تسهيلاً على الباحثين والجامعات والمؤسسات الوطنية والإقليمية المعنية بالبحث العلمي. ونرصد في هذا الجزء أهم المنظمات والمواثيق الدولية الصادرة عنها في هذا الصدد.

[٢٢] صلاح عثمان: *نحو فلسفة للكيمياء*، مرجع سابق، ص ص ٢٥٤ – ٢٥٥.

١. منظمة اليونسكو *UNESCO*:

كانت اليونسكو من الجهات التي عززت التأمل الدولي في أخلاقيات علوم الحياة خلال حقبة السبعينات. وما زالت المنظمة تعمل على إقامة وتعزيز الروابط بين أخصائيي الأخلاقيات، والعلميين، وراسمي السياسات، والقضاة، والصحفيين، والناشطين في المجتمع المدني، من أجل مساعدة الدول الأعضاء على رسم سياسات سليمة ومستنيرة بشأن القضايا الأخلاقية المرتبطة بالعلوم والتكنولوجيا[٢٣].

وتضطلع اليونسكو بالوظائف الرئيسية التالية:

أ- مختبر للأفكار: معالجة التحديات الأخلاقية المستجدة عن طريق توفير منتدى فكري للتأمل في أخلاقيات العلوم والتكنولوجيا استنادًا إلى نهج جامع للتخصصات وللجهات المعنية والثقافات، وذلك من خلال الهيئات التالية:

- اللجنة الدولية لأخلاقيات البيولوجيا (IBC)[٢٤]؛
- اللجنة الدولية الحكومية لأخلاقيات البيولوجيا (IGBC)؛
- اللجنة العالمية لأخلاقيات المعارف العلمية والتكنولوجية (COMEST)[٢٥].

وتُعد اللجنة العالمية لأخلاقيات المعرفة العلمية والتكنولوجيا بمثابة هيئة استشارية ومنتدى للتفكير تتألف من ١٨ خبيرًا مستقلاً. واللجنة مكلفة بصياغة المبادئ الأخلاقية التي يمكن أن توفر لمتخذي القرارات المعايير التي تتجاوز الاعتبارات الاقتصادية البحتة منذ

---

[٢٣] اليونسكو. «أخلاقيات العلوم والتكنولوجيا». *موقع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)*. تم الاسترداد بتاريخ ٨ ديسمبر ٢٠٢٠ من:
https://ar.unesco.org/themes/ethics-science-and-technology

[3] UNESCO. 2020. International Bioethics Committee (IBC). [Online] Available at: https://en.unesco.org/themes/ethics-science-and-technology/ibc [Accessed 8 December 2020].

[٢٥] UNESCO. 2020. *World Commission on the Ethics of Scientific Knowledge and Technology (COMEST)*. [online] Available at: https://en.unesco.org/themes/ethics-science-and-technology/comest/ [Accessed 8 December 2020].

إنشائها في العام ١٩٩٨ من قبل منظمة اليونسكو، وتسترشد اللجنة بنظامها الأساسي الذي اعتمده المجلس التنفيذي لليونسكو في دورته رقم ١٥٤.

ب- هيئة تقنينية: الاضطلاع بعمل تقنيني رائد:

- الإعلان العالمي بشأن الجينوم البشري وحقوق الإنسان (١٩٩٧)؛
- الإعلان الدولي بشأن البيانات الوراثية البشرية (٢٠٠٣)؛
- الإعلان العالمي لأخلاقيات البيولوجيا وحقوق الإنسان (٢٠٠٥)؛
- النقاش الجاري بشأن مراجعة توصية عام ١٩٧٤ الخاصة بأوضاع المشتغلين بالبحث العلمي (٢٠١١ ~)؛
- النقاش الجاري بشأن المبادئ الأخلاقية المتعلقة بتغير المناخ (٢٠٠٩).

ج- مركز لتبادل المعلومات: تطوير مرصد الأخلاقيات العالمي. وهذا المرصد هو عبارة عن مستودع عالمي يتيح الانتفاع المجاني بمعلومات مستوفاة عن المؤسسات والجهات المختصة والتشريعات ومدونات السلوك والبرامج التعليمية المعنية بالأخلاقيات في شتى أنحاء العالم.

د- هيئة لبناء القدرات: تزويد الدول الأعضاء بما يلزمها من أدوات ودعم تقني لتدعيم البنى الأساسية الوطنية الخاصة بالأخلاقيات:

- مساعدة لجان أخلاقيات البيولوجيا؛
- برنامج تعليم الأخلاقيات؛
- دعم السياسات الوطنية المعدة للتكيف مع التغير البيئي العالمي استناداً إلى مبادئ أخلاقية وغير ذلك من الأسس.

هـ- عامل حفاز للتعاون الدولي: التعاون مع الجهات الرئيسة المعنية بأخلاقيات العلوم والتكنولوجيا على الصعيد الدولي، وتعزيز التنسيق بين الجهات الفاعلة الأساسية من خلال لجنة الأمم المتحدة المشتركة بين الوكالات بشأن أخلاقيات البيولوجيا.

٢. جائزة ابن سينا لأخلاقيات العلوم UNESCO Avicenna Prize for Ethics in Science:

تُمنح جائزة ابن سينا لأخلاقيات العلوم، التي أطلقها المجلس التنفيذي لليونسكو في دورته السادسة والستين بعد المائة بمبادرة من جمهورية إيران الإسلامية، إلى الأفراد والمجموعات مرة كل سنتين، لمكافأتهم على الأنشطة التي يمارسونها في مجال أخلاقيات العلوم[٢٦]. وقد سُميت الجائزة بهذا الاسم نسبة إلى الطبيب والفيلسوف المشهور «أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا» Avicenna (٩٨٠ – ١٠٣٧)، وكان حجة في الطب العلاجي وعالمًا في الإنسانيات، واشتهر بتطويره مقاربة شاملة نموذجية لجوهر أخلاقيات العلوم، وأصبحت بالتالي مصدر وحي وإلهام لنمو هذا الهاجس الذي يمثل أهمية بالغة لمنظمة اليونسكو. وتتألف الجائزة من ميدالية ابن سينا الذهبية التي تمنح مع شهادة تقدير ومبلغ قيمته ١٠٠٠٠ دولار أمريكي ورحلة أكاديمية إلى جمهورية إيران الإسلامية لمدة أسبوع كامل، يتسنى للفائز خلالها إلقاء بعض الكلمات في التجمعات الأكاديمية التي تنظمها حكومة جمهورية إيران الإسلامية بهذه المناسبة.

٣. الإعلان العالمي لأخلاقيات البيولوجيا وحقوق الإنسان Universal Declaration on Bioethics and Human Rights:

شهد مجال أخلاقيات البيولوجيا نموًا ملحوظًا منذ حقبة السبعينيات. صحيح أنه بات يتضمن اليوم مسائل مرتبطة بالأخلاقيات الطبية، إلا أن طابعه الفريد من نوعه يكمن في أن نطاقه أوسع من مختلف مدونات الأخلاقيات المهنية ذات الصلة، فهو يشجع التأمل في التغيرات المجتمعية والتوازنات العالمية التي أفرزتها التطورات العلمية والتكنولوجية. وإلى جانب السؤال المعقد الذي طرحته علوم الحياة لمعرفة مدى ما يمكن للإنسان أن يصل إليه،

[٢٦] اليونسكو. «جائزة ابن سينا لأخلاقيات العلوم». *موقع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)*. تم الاسترداد بتاريخ ٨ ديسمبر ٢٠٢٠ من: https://ar.unesco.org/prizes/avicenna

تظهر تساؤلات جديدة حول العلاقة بين الأخلاق والعلوم والحرية[٢٧]. وغني عن الذكر أن عدد الممارسات العلمية التي تجاوزت الحدود الوطنية قد ازداد بشكلٍ غير مسبوق، وأصبح النقاش الدولي يسلط الضوء أكثر فأكثر على ضرورة وضع مبادئ توجيهية أخلاقية عالمية تغطي كافة المسائل المطروحة في مجال أخلاقيات البيولوجيا وعلى ضرورة تشجيع ظهور القيم المشتركة. ويشعر العالم بأسره بمدى الحاجة الملحة إلى العمل التقنيني في مجال أخلاقيات البيولوجيا، وغالبًا ما يُعبر عن هذه الحاجة العلماء والمتمرسون أنفسهم إلى جانب المشرعين والمواطنين.

كذلك تُلقى على عاتق الدول مسؤولية خاصة لا تتمثل في تشجيع التأمل في أخلاقيات البيولوجيا فحسب بل في صياغة أي تشريع لاحق أيضًا؛ ففي مجال أخلاقيات البيولوجيا، توصل عدد من الدول إلى صياغة قوانين وأنظمة ترمي إلى حماية الكرامة الإنسانية وحقوق الإنسان وحرياته، لكن العديد من البلدان الأخرى لا تزال ترغب في وضع المعايير المرجعية، مع أنها تفتقر أحيانًا إلى الوسائل اللازمة لذلك. وفي هذا السياق، دعا المؤتمر العام في دورته الحادية والثلاثين المنعقدة سنة ٢٠٠١، المدير العام للمنظمة، إلى تقديم الدراسات التقنية والقانونية التي أجريت حول إمكانية إعداد معايير عالمية في مجال أخلاقيات البيولوجيا. وبطلب من المدير العام، قامت اللجنة الدولية لأخلاقيات البيولوجيا بصياغة تقرير عن إمكانية إعداد صك عالمي عن أخلاقيات البيولوجيا، وقدمت الصيغة النهائية في ١٣ يونيو ٢٠٠٣. وينظر هذا التقرير في بعض المسائل المتعلقة بأخلاقيات البيولوجيا التي يمكن معالجتها في وثيقة دولية، ويُظهر كيفية إسهام مثل هذه الوثيقة في تعزيز الجهود الدولية الرامية إلى وضع مبادئ توجيهية أخلاقية في مسائل تتعلق بالتطورات العلمية الحاصلة مؤخرًا ودعم هذه الجهود. كما يدرس التقرير الشكل المحتمل لهذه الوثيقة ونطاقها وقيمتها على صعيد التربية ونشر المعلومات والتوعية والنقاش العام.

---

[٢٧] UNESCO. 2020. *Universal Declaration On Bioethics And Human Rights*. [online] Available at: https://en.unesco.org/themes/ethics-science-and-technology/bioethics-and-human-rights [Accessed 8 December 2020].

أما في دورته الثانية والثلاثين المنعقدة في شهر أكتوبر ٢٠٠٣، فقد انتهى المؤتمر العام إلى أنه من الملائم ومن المفضل تحديد معايير عالمية بشأن أخلاقيات البيولوجيا في ظل احترام الكرامة الإنسانية وحقوق الإنسان وحرياته، في معية روح من التعدد الثقافي لأخلاقيات البيولوجيا. كما دعا المؤتمر المدير العام إلى أن يواصل إعداد إعلان بشأن المعايير العالمية لأخلاقيات البيولوجيا، من خلال إجراء مشاورات مع الدول الأعضاء وسائر المنظمات الدولية المعنية والهيئات الوطنية المختصة، وأن يقدم إليه مشروع إعلان في دورته الثالثة والثلاثين.

بالنسبة إلى شكل الميثاق، أعلنت اللجنة الدولية لأخلاقيات البيولوجيا – بدعم من الدول الأعضاء أثناء انعقاد المؤتمر العام – عن تأييدها الصريح لإصدار ميثاق يتخذ شكل إعلان كمرحلة أولية على الأقل، بحيث يكون ملائمًا تمامًا لسياق عالمي دائم التغيير، ويسمح بتأمين أوسع توافق ممكن في الآراء من جانب الدول الأعضاء. ولا يحول شكل الميثاق دون إسهام مضمونه في وضع مدونة من المبادئ العامة المعترف بها عالميًا في مجال أخلاقيات البيولوجيا (كمبادئ الكرامة الإنسانية والتضامن وحرية البحث واحترام الحياة الشخصية والسرية وعدم التمييز والموافقة المستنيرة وسلامة الأبحاث والأمانة الفكرية)، بمقدار ما ترتبط هذه المبادئ بأخلاقيات البيولوجيا. وأخيرًا وليس آخرًا، من شأن أي صك يصدر حول أخلاقيات البيولوجيا أن يلفت الإنتباه جيدًا إلى أهمية التوعية والإعلام والتربية والتشاور والنقاش العام. وقد أكدت منظمة اليونسكو على مدار السنين على دورها التقنيني في مجال أخلاقيات البيولوجيا، حيث سبق أن ساهمت في صياغة المبادئ الأساسية لأخلاقيات البيولوجيا، لاسيما من خلال الإعلان العالمي بشأن الجينوم البشري وحقوق الإنسان الذي اعتمده المؤتمر العام بالإجماع والتصفيق في العام ١٩٩٧، وصادقت عليه الجمعية العامة للأمم المتحدة في العام ١٩٩٨، وكذلك من خلال الإعلان الدولي بشأن البيانات الوراثية البشرية الذي اعتمده المؤتمر العام بالإجماع في أكتوبر ٢٠٠٣[28].

[28] Ibid.

وبصرف النظر عن الاهتمام البالغ الذي تثيره حاليًا المسائل الأخلاقية المرتبطة بالإنجازات المحرزة في علوم الحياة وتطبيقاتها، فإن تجذرها العميق في الأسس الثقافية والفلسفية والدينية لمجتمعات بشرية مختلفة يعطي اليونسكو سببًا كافيًا لتقود هذه المبادرة، بما أنها المنظمة الوحيدة التي تشمل مجالات إختصاصها العلوم الإجتماعية والإنسانية الملازمة لرسالتها الأخلاقية.

٤. المبادئ العامة المعتمدة من طرف المركز الوطني للبحث العلمي والتقني الفرنسي (CNRST):

وتشمل سبع مبادئ تحدد الإطار العام لأخلاقيات مهنة البحث العلمي في الجامعات والمعاهد التي تتواصل باللغة الفرنسية، وهي[٢٩]:

١) الامتثال للتشريعات القانونية: يجب على كل باحث معرفة النصوص القانونية التي تؤطر أنشطته المهنية والحرص على احترامها، بما في ذلك الأبحاث التي تهتم بالإنسان والحيوان والطبيعة.

٢) نجاعة وفعالية انشطة البحث: على الباحثين احترام الالتزامات التي قطعوها في إطار خليتهم البحثية أو في إطار عقود محددة.

٣) التوافق مع التشريعات والأنظمة: على جميع الباحثين أن يكونوا على علم بالتشريعات التي تنظم الأنشطة المهنية والامتثال لها، وخصوصًا فيما يتعلق بالبحث على البشر والحيوانات والبيئة.

٤) عمل الأبحاث الموثوقة: على جميع الباحثين احترام الالتزامات التي قطعت في إطار وحدة أبحاثهم أو في إطار عقود محددة.

(29) CNRST. 2020. *Charte Nationale Deontologie Signe E Janvier2015*. [online] Available at: http://www.cnrs.fr/comets/IMG/pdf/charte_nationale__deontologie_signe_e_janvier2015.pdf [Accessed 8 December 2020].

٥) بما ان البحث العلمي يتم من طرف الباحثين في شكل مجموعات عمل فان قرار النشر يجب ان يتخذ بشكل جماعي حتى يتسنى لكل الاطراف المساهمة في البحث الحصول على حق الملكية الفكرية.

٦) المسؤولية في العمل الجماعي: يجب على الباحثين الدين يشرفون على مهمة التأطير والتكوين أن يولوا اهتمامهم البالغ للتنسيق والتقاسم الجماعي للبحث، وذلك من أجل تطوير مهارات جميع المشاركين في ديناميكية جماعية. ويذكر الميثاق أيضًا أن التمييز بين الأعضاء والتحرش وإساءة استعمال السلطة تعتبر خطأً مهنيًا، كما أن تزوير وتصنيع البيانات والانتحال تعد أكثر الانتهاكات خطورة على النزاهة ويجب أن يتم الإبلاغ عنها ومحاربتها.

٧) عدم التحيز والاستقلالية في التقييم والخبرة: إلى جانب الحياد الذي يجب على الباحث أن يتحلى به أثناء التقييم، فإنه يجب عليه أيضًا أن يفصح عن صلات المصالح التي قد تؤثر على هذا الحياد، كما يجب عليه التراجع في حالات التضارب المحتمل للمصالح. وهو مطالب أيضًا باحترام سرية الإجراءات وعدم استخدام البيانات التي تم نشرها.

٥. مدونة السلوك الأوروبية لسلامة البحوث[٣٠]:

تم إطلاق مدونة السلوك الأوروبية لسلامة البحوث في المؤتمر الدولي الثاني حول نزاهة البحوث الذي عقد في يوليو ٢٠١٠، وتنطوي على كود الممارسات الجيدة والسيئة في العلوم، وتقدم أساسًا للثقة والنزاهة عبر الحدود الوطنية.

يوفر هذا الكود على مستوى أوروبا نقطة مرجعية لجميع الباحثين، ويكمل مدونات الأخلاقيات القائمة، ويمتثل للأطر التشريعية الوطنية والأوروبية. وليس المقصود منه استبدال المبادئ التوجيهية الوطنية أو الأكاديمية الحالية، لكنه بمثابة اتفاق لما يقرب من

(30) Archives.esf.org. 2016. *Research Integrity: European Science Foundation*. [online] Available at: http://archives.esf.org/coordinating-research/mo-fora/research-integrity.html [Accessed 8 December 2020].

ثلاثين دولة حول مجموعة من المبادئ والأولويات للتنظيم الذاتي لمجتمع البحث، مما يوفر نموذجًا ممكنًا لمدونة سلوك عالمية لجميع الأبحاث.

يشمل مصطلح «سوء السلوك البحثيعدة نقاط، منها عدم الاهتمام الكافي بالأشخاص أو الحيوانات أو الأشياء التي هي موضوع بحث أو المشاركين فيه؛ وكذلك خروقات السرية وانتهاك البروتوكولات والإهمال من النوع الذي يؤدي إلى خطأ جسيم وخطأ في النشر ينطوي على تضارب المصالح أو الاستيلاء على الأفكار. وتشمل المدونة أيضًا مبادئ توجيهية لإنشاء هياكل بحثية وطنية. أما عن أهداف مدونة السلوك الأوروبية لسلامة البحوث فتتمثل فيما يلي:

- معالجة سياسة النزاهة البحثية.
- تبادل سُبل الممارسات الجيدة.
- دعم المنظمات بدون هياكل للتعلم من تجارب الآخرين ولبدء مناقشات في مجتمعاتهم المعنية حول النماذج المناسبة.
- توجيه المدخلات الأوروبية إلى المؤتمر العالمي الثاني حول نزاهة البحوث، سنغافورة، يوليو ٢٠١٠.
- تطوير قواعد السلوك الأوروبية ووضع مبادئ توجيهية لإنشاء الهياكل الوطنية.

٦. بيان سنغافورة حول نزاهة البحوث:

تمثل المبادئ والمسؤوليات المحددة في بيان سنغافورة بشأن نزاهة البحوث أول جهد دولي لتشجيع وضع سياسات ومبادئ توجيهية ومدونات قواعد سلوك موحدة، بهدف طويل المدى يتمثل في تعزيز المزيد من النزاهة في مجال البحث في جميع أنحاء العالم. ويُعد البيان نتاجًا للجهد الجماعي والرؤى التي قدمها ٣٤٠ فردًا من ٥١ دولة شاركوا في المؤتمر العالمي الثاني حول نزاهة البحوث. وشمل ذلك الباحثين والممولين وممثلي المؤسسات البحثية (الجامعات ومعاهد البحوث) وناشري البحوث. كما تمت مناقشة البيان والتعليق عليه قبل وأثناء وبعد المؤتمر العالمي الثاني، ثم تم الانتهاء منه للإصدار والاستخدام العالمي في

الثاني والعشرين من سبتمبر ٢٠١٠[31]. ويهدف نشر بيان سنغافورة بشأن نزاهة البحوث إلى تحفيز الحكومات والمنظمات والباحثين على تطوير معايير وقوانين وسياسات أكثر شمولاً لتعزيز النزاهة في البحوث على الصعيدين المحلي والعالمي. وتوفر المبادئ والمسؤوليات الموجزة في البيان الأساس لتوجيهات أكثر شمولاً وتحديدًا في جميع أنحاء العالم.

ينطبق البيان على أي شخص يقوم بالبحث، وعلى أية منظمة ترعى البحوث، وعلى أي بلد يستخدم نتائج البحوث في صنع القرار، حيث يُتوقع من جميع الباحثين الممارسات البحثية الجيدة: الحكومية والشركات والأكاديمية. وقد تم تطوير البيان كجزء من المؤتمر العالمي الثاني حول نزاهة البحوث، والذي عُقد في سنغافورة خلال الفترة من ٢١ – ٢٤ يوليو ٢٠١٠، كدليل عالمي لإجراء البحوث المسؤولة.

٧. بيان مونتريال بشأن نزاهة البحوث في ديباجة التعاون عبر الحدود الموقع في مايو ٢٠١٣[٣٢]:

جاء بيان مونتريال بشأن نزاهة البحوث في ديباجة التعاون البحثي عبر الحدود، بُغية النهوض بالمعرفة في جميع أنحاء العالم. وتمثل مثل هذه التعاونات تحديات خاصة فيما يتعلق بإجراء البحوث بطريقة مسؤولة، لأنها قد تنطوي على اختلافات كبيرة فيما يتعلق بالهياكل التنظيمية والقانونية والتمويلية، وثقافات البحوث، وأساليب التدريب. لذلك من المهم للغاية أن يكون الباحثون مدركين لهذه الاختلافات ويمكنهم معالجتها. وقد شدَّد البيان على التزام الباحثين بالمسؤوليات المهنية المنصوص عليها في بيان سنغافورة بشأن نزاهة البحوث، بالإضافة إلى أربع مسؤوليات أساسية، هي:

- النزاهة: يجب أن يتحمل الشركاء المتعاونون المسؤولية الجماعية عن موثوقية البحوث التعاونية الشاملة، والمسؤولية الفردية عن جدارة مساهماتهم.

---

(1) Wcrif.org. 2010. *Singapore Statement on Research Integrity*. [online] Available at: https://wcrif.org/guidance/singapore-statement [Accessed 8 December 2020].

(32) Wcrif.org. 2013. *Montreal Statement on Research Integrity in Cross-Boundary Research Collaborations*. [online] Available at: https://wcrif.org/documents/354-montreal-statement-english/file [Accessed 8 December 2020].

- الثقة: يجب أن يكون سلوك كل شريك متعاون جديرًا بثقة جميع الشركاء الآخرين.
- الغرض: يجب بدء البحوث التعاونية وإجراؤها لأغراض تقدم المعرفة لصالح البشرية.
- الأهداف: يجب أن يتفق الشركاء المتعاونون في البداية على أهداف البحث، كما يجب التفاوض على التغييرات في الأهداف والموافقة عليها من قبل جميع الشركاء.

تعقيب:

حاولنا في هذا البحث استقراء أبرز المبادئ والضوابط الأخلاقية للبحث العلمي في ضوء نماذج من المواثيق الدولية في هذا الصدد، والتي يمكن أن نعدها بمثابة سلسلة متصلة الحلقات يؤدي السابق منها إلى اللاحق، تعديلاً واستكمالاً وإضافة. وحري بنا في النهاية أن نشير إلى إن العلاقة بين الأخلاق والبحث العلمي علاقة قديمة ووثيقة؛ فكما أن الإنسان بطبعه يبحث عن الحقيقة، فهو بفطرته كائنٌ أخلاقي، وبالتالي يمكن القول إن الإنسان باحثٌ أخلاقي. لكن ولحقبة من الزمان تسارعت الكشوفات العلمية وكثرت، وانشغل الإنسان بالبحث العلمي دون أن يهتم بتطوير أنساقه الأخلاقية. وهذا لا يعني أنه أصبح كائنًا غير أخلاقي؛ بل لقد حافظ الإنسان على أخلاق الرجل العادي، لكنه لم يهتم بتوظيف هذه الأخلاق في المجالات المتخصصة، أي ما يعرف بالأخلاق التطبيقية Applied Ethics، وهو ما اضطلعت به في عالمنا المعاصر مؤسسات دولية تأتي اليونسكو في مقدمتها، حيث سعت إلى إقرار أكواد أخلاقية في كافة مجالات البحث العلمي، لاسيما تلك التي لها أبعاد تكنولوجية تمس حياة الإنسان وبيئته الطبيعية والاجتماعية. ومع ذلك ما زالت الهوة متسعة بين التنظير والتطبيق، وما زلنا في حاجة إلى إعادة بناء الإنسان ذاته من الداخل عقلاً وضميرًا، الأمر الذي يستلزم مراجعةً جادة لبرامجنا السياسية والاقتصادية والتعليمية، كما يستلزم تضافر الجهود على المستوى الدولي بهدف إفساح المجال للدراسات الإنسانية والرؤى الفلسفية المستقبلية إلى جانب الدراسات والبحوث ذات الأهداف العملية والإنتاجية. وعلى الإجمال، نحن في حاجة إلى إعادة اكتشاف الإنسان في خضم التسارع المحموم نحو السيطرة على الطبيعة وتطوير وسائل الإنتاج.

المراجع:

أولاً: المراجع باللغة العربية:

١. ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري): لسان العرب، الجزء الحادي عشر، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة بدون تاريخ.

٢. أحمد أنور بدر & ناريمان إسماعيل متولي & غادة عبد المنعم: *مناهج البحث في علم المعلومات والمكتبات في القرن الحادي والعشرين*، المكتبة الاكاديمية، القاهرة، ٢٠١٣.

٣. أحمد بدر: *أصول البحث العلمي ومناهجه*، المكتبة الأكاديمية، ط ١، القاهرة، ٢٠١١.

٤. أحمد عامر (٢٠١٧). «أخلاقيات البحث العلمي في القرن الحادي والعشرين». *موقع مقال*، يناير ٢٠١٧. تم الاسترداد بتاريخ ٣ يوليو ٢٠٢٠ من:
https://mqqal.com/2017/01/اخلاقيات-البحث-العلمي-في-القرن-الحادي /

٥. اليونسكو. «أخلاقيات العلوم والتكنولوجيا». *موقع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)*. تم الاسترداد بتاريخ ٨ ديسمبر ٢٠٢٠ من:
https://ar.unesco.org/themes/ethics-science-and-technology

٦. اليونسكو. «جائزة ابن سينا لأخلاقيات العلوم». *موقع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)*. تم الاسترداد بتاريخ ٨ ديسمبر ٢٠٢٠ من:
https://ar.unesco.org/prizes/avicenna

٧. إمام عبد الفتاح إمام؛ *فلسفة الاخلاق*، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، بدون تاريخ.
جمال أحمد عباس & مهي خالد شهاب: *مناهج وأساليب البحث العلمي*، دار أمجد للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٨.

٨. جحنيط حمزة: *المبادئ الأساسية والأخلاقية للبحث العلمي*، الملتقى المشترك حول الأمانة العلمية، مركز جيل البحث العلمي، طرابلس، لبنان، ١١ يوليو ٢٠١٧.

٩. ربحي مصطفى عليان: *البحث العلمي (أسسه – مناهجه وأساليبه – إجراءاته)*، بيت الأفكار الدولية، الأردن، ٢٠٠١.

١٠. رشا علي البارودي: أخلاقيات البحث العلمي في العلوم الإنسانية، *المؤتمر السنوي للدراسات العليا والبحث العلمي (الدراسات الانسانية والتربوية)*، جامعة الخرطوم، السودان، فبراير ٢٠١٣.

١١. صلاح عثمان: *نحو فلسفة للكيمياء*، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٤.

١٢. طه حسين: *مستقبل الثقافة في مصر*، تصدير مصطفى الفقي، مكتبة الاسكندرية، ٢٠١٨.

عبد الله موسى (٢٠٠٠). «الأخلاق: التحدي الحضاري وخيار التقنين». *مجلة النبأ*، العدد (٤٧)، يوليو ٢٠٠٠. تم الاسترداد بتاريخ ٧ ديسمبر ٢٠٢٠ من:
https://annabaa.org/nba47/tahadi.htm

١٣. عبد العزيز احمد: *مباحث في نظريات الأخلاق*، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥.

١٤. غالب عبد المعطى محسن الفريجات: *ثقافة البحث العلمي*، دار اليازوري، عمان، الأردن، ٢٠١١.

١٥. محمد مصطفى زيدان وصالح مضيوف شعث، مناهج البحث في علم النفس والتربية، دار المجمع العلمي، جدة، عام ١٩٩٨.

١٦. محمود حمدي زقزوق: *مقدمة في علم الاخلاق*، ط ١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٣.

١٧. مساعد الزياني (٨ فبراير ٢٠١٦). «كلاوس شواب لـ («الشرق الأوسط»): الثورة الصناعية الرابعة سلاح ذو حدين». جريدة الشرق الأوسط. تم الاسترداد بتاريخ ٤ ديسمبر ٢٠٢٠ من:
https://aawsat.com/home/article/562826/كلاوس-شواب-لـ-«الشرق-الأوسط»-الثورة-الصناعية-الرابعة-سلاح-ذو-حدين

يوسف عبد الرحمن حسن شبلي: *ارتباط المستوى الأخلاقي بالتنمية السياسية للأمة العربية*، أطروحة ماجستير بجامعة النجاح الوطنية، نابلس، ٢٠١٠.

ثانيًا: المراجع باللغة الإنجليزية:

1. Archives.esf.org. 2016. *Research Integrity: European Science Foundation*. [online] Available at: http://archives.esf.org/coordinating-research/mo-fora/research-integrity.html

2. CNRST. 2020. *Charte Nationale Deontologie Signe E Janvier2015*. [online] Available at: http://www.cnrs.fr/comets/IMG/pdf/charte_nationale__deontologie_signe_e_janvier2015.pdf [Accessed 8 December 2020].
3. UNESCO. 2020. International Bioethics Committee (IBC). [Online] Available at: https://en.unesco.org/themes/ethics-science-and-technology/ibc [Accessed 8 December 2020].

4. UNESCO. 2020. *World Commission on the Ethics of Scientific Knowledge and Technology (COMEST)*. [online] Available at: https://en.unesco.org/themes/ethics-science-and-technology/comest/ [Accessed 8 December 2020].

5. UNESCO. 2020. *Universal Declaration on Bioethics and Human Rights*. [online] Available at: https://en.unesco.org/themes/ethics-science-and-technology/bioethics-and-human-rights [Accessed 8 December 2020].

6. Wcrif.org. 2010. *Singapore Statement on Research Integrity*. [online] Available at: https://wcrif.org/guidance/singapore-statement [Accessed 8 December 2020].

7. Wcrif.org. 2013. *Montreal Statement on Research Integrity in Cross-Boundary Research Collaborations*. [online] Available at: https://wcrif.org/documents/354-montreal-statement-english/file [Accessed 8 December 2020].

* * *